تفريغ محاضرة رقم (٩٨)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد إن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد،

ما زلنا مع فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه.

بلغنا باب ما جاء في الإقسام على الله.

عن جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: (من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك))، رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

قال الإمام: هذا الباب فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله، وهنعرف معنى التألي.

الثاني: كون النار أقرب أو أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في سبعين خريفًا) الحديث المشهور.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه، هو من أكره الأمور إليه.

طيب هنا الحديث بيقول فيه العلامة عبدالرحمن بن حسن: ذكر المصنف في هذا الباب؛ باب ما جاء في الإقسام على الله حديث جندب بن عبدالله قال رسول الله: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: (من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان)، قوله: (يتألى) أي يحلف، والألِّية بالتشديد الحلف، وصح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

قال البغوي في شرح السنة وساق الحديث بالسند إلى عكرمة بن عمار، قال: دخلت مسجد النبي أو مسجد المدينة، فناداني شيخ، فقال: يا يمامي نسبة إلى اليمامة، يا يمامي تعالى وما أعرفه، قال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لفلان، لا تقولن لرجل والله ليغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الجنة، قلت ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، يعني أنا أبو هريرة، فقلت إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب، تمام؟ وده بيحصل من كثير من الناس دلوقتي، والله ما أنت وارد على جنة، ده ربنا هيولع فيك، ده أنت من، هيحطك مع أبو جهل، من الإنفعالات بقى، وغضب، والشيطان بيتحيل من إنسان مثل هذه الفرص فيدفعه ليقول التي هي أسوأ، وقد قال الله عز وجل: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم)، والشيطان بيتحيل من الإنسان لحظات الإنفعال ولحظات الحدة، يخليه يقول كلام؛ لو هو إتفرج على نفسه فيديو بعد الحادثة، هيتكسف من نفسه جداً، أو لو واحد قال له: إسمع التسجيل ده شوف أنت كنت بتقول إيه وأنت متضايق وأنت في فورة الغضب كنت بتقول إيه؟ أنا قلت كده؟ مش ممكن أبدًا، أهو صورتك أهي، فسبحان ربي العظيم فعشان كده الإنسان لابد أن هو يتحفظ، وإيه؟ يتعوذ بالله عز وجل من الشيطان وهمزات الشياطين، أسهل طريق لهذا الأمر إن أنت تكون مشغول بذكر الله، طول ما أنت مشغول بذكر الله طول ما الشيطان بعيد عنك، مش هيقدر يعمل لك تحولات فجائية، تمام؟

ولذلك ربنا بيقول: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، النفس مطمئنة بذكر الله، فلما تغضب هيبقى غضبك مقنن يعني، فيه خطوات، ولما تزعل هيبقى زعلك عاقل يعني ما فيهوش طيش ولا فيه صخب ولا فيه جهالة ولا فيه سفاهة، تمام؟ إنما أنت متى الشيطان بيتسلط عليك؟ لما تبقى أنت مقصر أصلًا، ما نقصدش بالذكر ذكر اللسان فقط أو إن أنت تذاكر في الكتب، لأ نقصد إن أنت دائمًا مستحضر مراقبة الله سبحانه وتعالى إن أنت دايمًا تقرأ تسمع كتاب الله عز وجل، تتدبر تدور تبحث تطبق تركع تسجد تسبح تستغفر تتشهد، الجو الإيماني ده مخلي فيه جمعية للقلب، عارف تسيطر على نفسك، عارف تأخذ قرار حتى في عز الغضب، غضبك تجد غضب مثمر، ما هواش يعني مدخل من مداخل الشيطان.

فالراجل بيقول له: والله إن أحدنا ليقول، إن هذه الكلمة ليقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، فأبو هريرة قال له بقى: أنا هعرفك خطورة الكلمة، أنت ممكن توصل بيك لحد فين؟ ده ممكن دي تحول بك بينك أنت وبين الجنة، والله ما أنت وارد على جنة، طيب خلاص بس، (من ذا الذي يتألى علي) أنت إزاي تحلف على ربنا؟

(قد غفرت له)، يعني هو اللي صاحب الغلط أهو، وهو اللي ضايقك، وهو اللي نرفزك، وهو اللي عمل وسوى، (قد غفرت له، وأحبطت عملك)، أنت طبعاً صولة الطاعة مخلياك إن أنت شايف العاصي طبعاً في الأرض وفي الطين وحالته بالبلاء، فأنت يعني والله ما أنت وارد على جنة، وكأنك يعني ضامن مفاتيح الجنة، أنت يهودي، وأنت كافر، وأنت درزي، أنت أصلًا حجر إلى آخره، ده طبعاً ده ناهيك عن السب والشتم اللي هو أسوأ يعني تعبيرًا.

يقول: هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فأني سمعت رسول الله يقول: (إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر كأنه يقول: مذنب)، يعني أقل منه شوية، (فجعل يقول الطائع للعاصي: أقْصِر عما أنت فيه)، بطل بقى، تُب بقى، أبقى خليك محترم بقى، إستقيم على أمر ربنا بقى، هتنضف متى بقى؟ اللي بينقال، (فجعل يقول: أقْصِر عما أنت فيه؟ فقال) الثاني بقى المُقْصر يقول: (خليني وربي)، سيبني مع ربنا هي ذنوبك؟ هي مظالمك؟ هو تقصير في حقك أنت؟ لأ،

خلاص طب خليني وربي، (فوجده يومًا على ذنب إستعظمه)، هو طبعاً سكت عنه شوية الثاني ساء فيها، جاب الثقيلة بقى، فطبعًا صاحبك الثاني شاط في المشهد، (فوجده يومًا على ذنب إستعظمه، فقال: أقْصِر، فقال: خلني وربي، قال: أبعثك الله علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو والله لا يدخلك الله الجنة أبدًا، قال: فبعث الله أليهما ملكًا فقبض أرواحهما)، الإثنين ماتوا في ساعتها، (فإجتمعا عنده سبحانه وتعالى فقال الله للمذنب: (إدخل الجنة برحمتي)، وقال للآخر: (أتستطيع أن تحذر على عبدي رحمتي؟) قال: لا يا رب، قال: (إذهبوا به إلى النار))، ده اللي كان إيه؟ ده اللي كان أطوع، أكثر إلتزامًا وإستقامةً، (إذهبوا به إلى النار)، قال أبو هريرة: "والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وأخرته"، كلمة ورغم إنه ممكن هو عابد، زاهد، مصلي، صوام، قوام، عالم، مفتي، قاضي، خطيب، إمام إلى أخره، لكن أُعْجِب بنفسه، فقال الكلمة، هي أصلاً كلمة نابعة من نفس معجبة، عشان تأخذ بالك يعني، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وأخرته.

ورواه أبو داوود في سننه، وهذا لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه: (كان رجلان في بني أسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يُذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقْصِر فوجده يومًا على الذنب أو على ذنب فقال له: أقْصر، فقال: خلني وربي، أبعثك علي رقيبًا؟ قال) المجتهد(: والله لا يغفر الله لك، والله لا يدخلك الجنة أو ولا يدخلك الجنة، فقبضت أرواحهما، فإجتمعا عند رب العالمين، فقال: لهذا المجتهد: أكنت بي عالم؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟) هي الرحمة في يد من؟ بيد الله، والجنة بيد من؟ بيد الله، أنت مالك بقى؟ أنت بتتفرق وتقسم ليه؟ فقال للمذنب: ((إذهب فإدخل الجنة)، وقال للآخر: (إذهبوا به إلى النار)).

قوله: وفي حديث، طبعاً ده ممكن يحصل مع إبنك، ممكن يحصل مع مراتك، ممكن يحصل مع أخوك، ممكن يحصل مع والدك، ممكن يحصل مع والدتك، أنت بتنظر بالنظرة دي، أصل والدي مش ملتزم، أصل والدتي مش ملتزمة، أصل إبني صايع، أصل بنتي مش محجبة، أصل أبويا مش عارف إيه؟ أصل جدي بيشتغل في البنك، أصل خالي بياكل بالربا، أصل مش عارف ده بيعمل إيه؟ أصل فلان ده بيغني، أصل فلان ده بيرقص، ماشي ما

قلناش إن هو مش ذنب، ذنب ويلزمه أن يتوب، ويجب عليك أن تأخذ بيده إلى نشوة النجاة، إنك تشتغل يعني تعالجه ده مريض، هو محتاج علاجك مش تتشفى فيه.

تخيل دائمًا أقول لك: إن علاقة الإيه؟ الداعية بالمدعوين علاقة مريض بالمرضى، هو في في الدنيا مريض راح لدكتور، الدكتور عايره بالمرض، سخر منه أنه مريض، الله! ده أنا جاي أأكلك عيش أهو على حسابي، يعني أنا عيان ربنا بلاني عشان أنت تأخذ فلوس، يبقى هل طبيب عاقل يقول له: إيه القرف اللي أنت عامله في نفسك ده؟ حد يسيب نفسه لما يعمل كده، إمشِ روح في داهية تأخذك، في دكتور بيعمل كده؟ ده ده تتبرشم عيادته في ساعتها، ده لا يصلح للطب أساسًا، عشان يبقى إتخرج وينجح ويأخذ ويفتح عيادة، مش هيحصل أساسًا، لا يتمكن من مثل هذا.

فتخيل إحنا بقى قايمين بدور الطبيب الإيه؟ الغشيم ده مع أهالينا، كل غلطة بمعايرة، وكل غلطة بتصيد أخطاء، وكل غلطة بقفل باب الرحمة، وكل غلطة ما فيش منك فايدة، أنت ما إنتاش نافع، أنتم ما أنتوش هتوردوا على جنة، أنتم ظلمة أصلًا، أنتم بتضطهدوني، كل ده كلام غلط، يعني ده مدخل عظيم الشيطان في حياة الإنسان، والجواب أهو: (أكنت بي عالمًا؟) ربنا بيقول له؛ ده عتاب، سؤال عتاب معتابة؛(أكنت بي عالماً؟ أم كنت على ما في يدي قادرًا؟ فقال للمذنب: (إذهب فإدخل الجنة)، وقال الآخر: (إذهبوا به إلى النار))، يعني ممكن يكون أبوك اللي شغال في البنك، وأمك اللي كاشفة شعرها عياذاً بالله يعني، ممكن تكون عندها من بعض الطاعات اللي أنت ما أنتش عارفها، ولها بينها وبين الله عز وجل حسنة، يراها الله عز وجل عندها عظيمة، وأنت بكبرك وغرورك تروح جهنم وبئس المصير، وهم ما تنالهم شفاعة الشافعيين ورحمة أرحم الراحمين، والعكس بالعكس، الأب مع ولاده اللي هم متمردين، وبناته اللي هم مش مستقيمات، ما بقولش أسكت عن إنكار المنكر، ما بقولش إيه؟ غمض عينك وطارمخ وخلي البيت ميغة، حاشا لله، لكن ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر، (وأمر أهلك بالصلاة) أكبر الفرائض (وإصطبر عليها) لأن الشيطان بيخاصمك الناحية الثانية، مش أنا أبقى بصاحي إبني الفجر ما بيصحاش، بصحي مراتي الفجر بتقوم بالعافية وزهقانة ومتململة، أيوه ما الشيطان قاعد

فوق دماغها، الله هو أنت هتبقى قائم مقام النبي كده بالساهل؟ قوموا إصحوا يا جماعة تلاقوهم وهم صاحيين، قبل ما يصحوك هم، ما هو كده أنت كده راجل داعي إلى الله، أنت بتعمل إيه بقى؟ أصل زوجتي ما لهاش في الدعوة، أصل زوجتي ما لهاش في الطلب، هي في وادي وأنا في وادي، الله! طب هي هتيجي الوادي بتاعك إزاي؟ لما أنت هي كل الوقت إستحقار وإستقلال وكفران لنعمة الله عز وجل بها عليك، إن أنت ما أنتش شايفها بتعمل إيه يعني؟ ما كل النسوان بتطبخ وكل النسوان بتغسل، ما أنت زيك زي الأمة وزي الخدامة، طب ما هي لك أنت هي خدامة لمين؟ خدامة بتغسل للناس برة في الشارع؟ طب سهلة خالص أنا كان عندي حل بسيط، حضرتك إديها الكتاب تقرأ، والدروس وتحضر المشايخ، وخذ أنت الغسالة والمكنسة والمخرطة والمطبخ والمزبلة والحمام وبامبارزات الولاد والسوق وإولد أنت قيصري وشق بطنك بالعرض، وورينا هتعمل إيه؟ فرجنا على الدعوة بتاعتك والطلب بتاعك، هتعمل إيه؟ ولا أي حاجة ولا هتروح ولا هتيجي، يمكن ما تصليش الجمعة، أه والله سبحان الله، بقى هو ربنا يضع عن نساء الجمعة والجماعة، وأنت تعيش عيشة الرجالة المجاهدين، إزاي الكلام ده؟

وفي حديث أبي هريرة؛ أن القائل رجل عابد، زي حضرتك كده يعني، يشير إلى قوله في الحديث الآخر: (أحدهما مجتهد في العبادة)، أخ يعني ما شاء الله عليه رايح بالكتاب وجاي بالكتاب، ورايح عند الشيخ وراجع من عند الشيخ، وباصص للدنيا كلها بقرف بقى، كنا بنطلب العلم في سبيل الله وأنتي قاعدة في المخلل وفي المخرطة والغسيل، هي بتعمله ليها هي هتتاجر به بره ولا بتأكله لك أنت؟ حاجة غريبة وكفران نعمة عجيب وغريب وقلة أدب حقيقة يعني، أسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولكم، حاجة صعبة جداً جدًا.

يعني إذا لم تجد كلمة معروف تقولها كف عن كلمة المنكر، ولا ده مش أمر بالمعروف ونهي عن المنكر برضو؟ الأخ داخلي يقطم في الأخت، وطالع يقطم في الأخت، وكل بصة بكلمة زي الرصاصة، كل كلمة بيضرب رصاص في البيت، يقول لك: أنا لما عمري ما شتمتها يوم؟ طب كنت إشتمها أرحم، أنا مديت إيدي عليها؟ اسأل إخواتها والناس كلها ما

حدش سمع صوتي، يا ريتهم كانوا سمعوا صوتك، ما هو أنت سكوتك ده زي السم، سكوت التحقير وسكوت التقليل ده سم قتل ده، إتقوا الله في أهليكم.

وفي الأحاديث بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرز من الكلام كما في حديث معاذ، قال: قلت يا رسول الله: وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ هو ربنا هيحاسبنا على البقيقي؟ قال له: ده هي المشكلة في البقيقي ده، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (ثكلتك أمك) فقدتك، (ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم؟) أو قال: (على مناخهم، إلا حصائد ألسنتهم؟!).

باب: لا يُستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نُهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسقي لنا ربك، فإنَّا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي: (سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله) فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه الصحابة، مش في وجهه هو، الإنفعال إنتشر في الناس، الصحابة خافوا جداً كأن في مصيبة؛ السماء هتنزل على الأرض، فقال النبي: (ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه) وذكر الحديث رواه أبو داوود.

قال فيه: الإنكار على من قال: نستشفع بك عفوًا نستشفع بالله عليك، تمام؟

الثانية: تغيره تغيرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة، يعني من بشاعتها.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (نستشفع بك على الله) لإن ده منزلة قد أعطاها الله نبينا صلى الله عليه وسلم.

الرابعة: التنبيه على تفسير لفظة: سبحان الله، هنا يعني ومعناها في شرح الكتاب.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الإستسقاء، إستسقي لنا ربك، تمام؟ نعم.

هنا كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن ال الشيخ بيقول: باب: لا يستشفع على الله عفوا، لا يُستشفع بالله على خلقه وذكر الحديث، وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف، تمام؟

سياق أبو داوود بيقول إيه بقى؟ بيقول النبي ﷺ: (أتدري ما تقول؟) وسبح رسول الله فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: (ويحك أنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته هكذا) وأشار بأصابعه مثل القبة، النبي عمل بصوابعه شكل صورة القبة كده، العرش فوق السماوات مثل القبة، (وإنه ليئط به) أي العرش يئط بالرب أطيط الرحل بالراكب، لكن هذا الحديث فيه ضعف يعني.

قال ابن بشار في حديثه: (إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: هذا الحديث رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: ويحك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، ولا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا راد لما قضى، (وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض أنه كان عليمًا قديرًا)، (إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون)، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر النبي ﷺ على الأعرابي.

قوله: (وسبح الله كثيرًا وعظمه) لإن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، (إن شأن الله أعظم من ذلك)، وفي هذا الحديث إثبات علو الله تعالى على خلقه، وأن عرشه فوق سبع سماوات، وفيه تفسير الإستواء بالعلو، كما فسره الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون والأئمة، وهذا إجماع لغوي وشرعي عبر القرون، خلافًا للمعطلة والجهمية والمعتزلة، ومن أخذ عنهم الأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وُضعت له ودَلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا، كما عليه

السلف الصالح والأئمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله وطيب ثراه في مفتاح دار السعادة، الكتاب إسمه كاملًا إيه؟ مفتاح دار السعادة لابن القيم، هو الكتاب أصلًا في فضل العلم والعلماء مبدئيًا، ده مجلد حوالي خمسمائة صفحة، مفتاح دار السعادة منشور أهل العلم والولاية، مش عارفين إسم الكتاب كاملاً يبقى أكيد ما قرأناهوش ولا بصينا فيه يعني، فيُقتنى، كُتب الإمام ابن القيم عظيمة في الفائدة، شوفت إعلان لبعض المعاصرين عامل كده مكتبة خيرية، بيعمل مؤلفات ابن القيم كلها في سلسلة واحدة، مؤلفات ابن تيميه كلها في سلسلة واحدة بأسعار مدعومة جداً جدًا، فالإخوة تبقى نتواصى بمثل ذلك، الكتب غالية وطابعات كويسة قيمة، وفي طبعات ممتازة، وحتى سمعت إن هو ممكن ينقلوها عبر المحافظات وحاجات شكل كده، ففرصة عظيمة تقريبًا تقريبًا يعني مؤلفات ابن القيم حوالي واحد وستين مجلد، شغل ابن القيم كله، مؤلفات ابن تيمية غير مجموع الفتاوى برضو حاجة شكل كده، يعني حاجات ضخمة، وطبعًا فارق السعر المدعم من السعر الأساسي آلافات، يعني فرق فرق كبير خالص يعني، وطالب دلوقتي في زمن الغلاء اللي إحنا فيه أولى بكل خير يعني، تمام؟

طيب هنا قال العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة بعد كلام سبق فيما يُعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته، يعني فصل كان: ومما يُعرف العبد بنفسه، ويعرفه بربه من المخلوقات كذا وكذا وكذا، هو دا بقى باب التدبر والنظر والتأمل ومعاني الربوبية اللي بتقوم في القلب من خلال عبادات التفكر والتذكر اللي هي محطوطة في الدرج، عبادات عظيمة جداً جدًا تقربك من الله وتحيي معاني التوحيد في قلبك أنت ما بتستعملهاش، وعشان كده عمال أنت بتتعلم تتعلم مش لاقي ما فيش حاجة جوة، أو الإحساس ضعيف قوي قوي مش هو متوقع، لإن أصلًا هو الموضوع مش نظري، على فكرة في كثير من الأحوال بيتحول كثير من طلبة العقائد إلى متكلمين، يعني الموضوع بقى كلام بس، يعني عمال مباحث وردود وشبهات وبتاع، وفين بقى قلبك؟ فين نقاء فكرك؟ فين خوفك من ربنا؟ فين

رجاءك فيما في أيدي الله؟ فين توكلك الله؟ فين ثقتك بوعد الله؟ فين صبرك على بلاء الله؟ ولا حاجة من دي موجودة، عشان الموضوع كله كلام، تمام؟

طيب هنا بقى بيقول بقى: والثاني أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتُفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها بين ملائكتها، ثم يُفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السماوات السبع والأرضين السبع، بالنسبة إليه سبحانه كحلقة أو للعرش بالنسبة إليها أي للعرش، كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر يتنزل أو ينزل من فوقه أي من فوق العرش، بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة أخرين، وإعزاز قوم وإذلال وإذلال أخرين، وإنشاء مُلك وسلب مُلك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على إختلافها، وتباينها وكثرتها، من جبر كسير وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد ضعيف، أو مدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وإنتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمعٌ منها عن سمع غيره، ولا تُعطله كثرة المسائل، والحوائج على إختلاف لغاتها وتباينها وإتخاذ وقتها، ولا يتبرم سبحانه بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته، عاليًا لعزته، فيسجد يعني القلب، بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب وهذا في وطنه، وهو في وطنه وداره، ومحل ملكه وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فيا له من سفر ما أدركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب، إنتهى كلامه رحمه الله.

ما نعرفش نعلق أي حاجة مع ابن القيم هو يتأخذ زي ما هو كده، عشان أي لعب فيها هيبوظه يعني، يعني زي ما كان بعض مشايخنا بيقول: كلام ابن القيم زي الوردة تشمها مش تفعصها، أنت تخليه يعدي كده بس وهو مرة على مرة هيسيب أثر يعني، رحمه الله تعالى وطيب ثراه.

وأما الإستشفاع بالرسول في حياته على الله عز وجل، فالمراد به إستجلاب دعائه وليس خاصًا به، يعني الإستشفاع بالنبي في حياته، هو قول القائل: يا رسول الله؛ إدعو الله لنا، وممكن تستشفع بأي إنسان؛ أدعو الله لي يا فلان، على ضوابط طلب الدعاء من الغير الذي مر مرارًا وتكرارًا، وأنه يجوز في طلب المنفعة العامة للمسلمين في الدنيا أو في الآخرة، ويجوز في طلب المنفعة الآخروية للشخص المعين، سواء لك أو لمن تحب أو من هو من أولادك أو زوجتك؛ أبوك أمك أصحابك، إدعوا الله أن يرحم فلانًا، أن يغفر لفلان، كل ده جائز بلا نِزاع، إنما النزاع في طلب الأمر الدنيوي على المستوى الشخصي، إدعوا الله أن يزوجني، إن أنا أنجح، أكل، أشرب، يبقى معي فلوس، ألبس، أبني بيت، أسافر لكسب الدنيا، أتحسن مثلًا، أقوم من العملية الفلانية معافى، إلى آخره، أشفى من مرضي، يزال فقري وضعفي، كل ده يعني خلاف الأولى، خلاف الأولى إيه؟ ما هوش حرام يعني، ولا منكر يعني، لكن ده بينافي كمالات التوكل المستحبة، أما ربنا يرزقنا كمالات التوكل الواجبة نبقى ندور في المستحبات، لكن نُنْزل الأشياء منازلها بغير غلو.

قال: وأما الإستشفاع بالرسول في حياته فالمراد به إستجلاب دعائه ﷺ، وليس خاصًا بالنبي ﷺ، تمام؟ فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، تمام؟ كما قال النبي لعمر رضي الله عنه لما أراد أن يعتمر من المدينة: (لا تنسنى يا أخي من صالح دعائك)، وإن كان في إسناده ضعف يعني.

أما الميت فإنه يشرع في حقه الدعاء له، مش طلب الدعاء منه، هو اللي محتاج، الميت أي ميت هو اللي محتاج إن إحنا ندعو له، فإنما يُشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يُشرع في حق الميت، وأما دعائهم أي طلب الحاجات

منهم، فلم يُشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالى: (والذين تدعون من دون الله لا يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوه ما إستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)، فبين تعالى أن دعاءه أو أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك، يكفر به المدعو يوم القيامة، دعاء من لا يسمع على الغيب، تمام؟ ولا يستجيب فيما لا قدرة له به، تمام؟ إنما لو طلبت من واحد أطرش قلت له هات لي كذا، لا مش هو دا دعاء من لا يسمع، تمام؟ لو أنا روحت عند واحد ميت عند القبر، وقلت له: إدعو الله لي، لا ده مش من دعاء ما لا يسمع، مش كده، دي غلط برضو، ودي من ذرائع الشرك برضه، لكن ما هياش دي المقصودة في الآية، المقصودة في الآية أن يطلب منه ما لا يستطيع سمعًا على الغيب، لإن دي من خصائص الربوبية، إن شاء الله حتى لو قال له: يا سيدي فلان هات لي أشرب، إنقل لي الكوباية دي من هنا لهنا، هو ده دعاء ده مستصحب ولابد إلى العقيدة بالإيه؟ بأنه يحيطه سمعًا بالغيب، ما هو سيدك فلان ده في دولة وأنت في دولة، بتنادي له كده إزاي؟ قال له: ما أنا بأزعق أهو، بتزعق الصوت هيوصل إزاي؟ ده هو في مكان وأنت في مكان، ما هو بيسمع كل حاجة، أهو ده كفر بقى، الكفر هنا كده في إعتقاد إحاطة السمع بالغيب.

إنما يا فلان هات لي، يا فلان ودي لي، ما هو ده طلب، بس فيما يقدر عليه الحي، تمام؟ طب راجل مات؛ وهو راح عند القبر يكلمه، إدعو الله لي، هو ما قالوش إعمل لي أنت حاجة، قال له: أدعو الله لي، وراح عنده القبر عشان هو مش بيسمع للغيب، سافر له لحد عنده، واقف بيوشوشه جنب القبر، عشان هو مش هيسمع إلا أما يقرب بقه منه، فين السمع للغيب؟ مش موجود، فين سؤال ما لا يقدر عليه إلا الله؟ مش موجود، بس دي زريعة من ذرائع الشرك، ممكن تؤدي مع الوقت إن هو يسأله هو، صح؟ نعم؟ أه نعم هي تبقى الكفر أصغر في الصورة دي، إنما لو قال له: إشفيني، إرحمني من على بعد أو من على قريب، لأ هذا لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: فبين تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، طبعاً ده برضو حكم عام، وده بعد لما نخلص من كل الشروط دي لازم فاضل تفريق بين النوع المعين ثاني.

أي ينكره ويعادي من فعله، كما قال في آية الأحقاف (وإذا حُشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين)، فكل ميتٍ أو غائبٍ لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر، والصحابة رضي الله تعالى عنهم لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم يُنقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، لا أبو بكر عمل كده، ولا عمر ولا عثمان ولا علي، ولا قال: يا سيدنا النبي، خذ بأيدي يا رسول الله، ويا مش عارف إيه؟ ما حدش عمل من دي حاجة خالص أبدًا، لأنهم علمهم في شخص ابن عباس: (إذا سألت فإسأل الله، وإذا إستعنت فإستعن بالله).

قال: حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر بن الخطاب عندما خرج يستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي، وعمل إيه؟ أمره أن يستسقي على صورة الإستسقاء المعروفة، يعني لما المطرة إتأخرت في المدينة، والنبي دُفن ﷺ في عهد أبي بكر، في عهد خلافة عمر، ما قالش: يا رب قبر النبي، ومدينة النبي، وحبيبك تحت، وأنت في السماء فوق نزل لنا ماء، ما عملش كده، ولا قال له: إستسقلنا في القبر يا رسول الله، صلي إستسقاء وإحنا نقف وراك مأمومين، ما عملش كده، ولا قال له: إطلب من الله عز وجل أن ينزل علينا الغيث؛ ما عملش كده، عمل إيه؟ "اللهم أنا كنا نستسقي بنبيك، ونتوسل إليك بنبيك" هذا المعنى اللي حصل، "اللهم أنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا"، إزاي؟ دور في دواوين السنة، النبي يطلع في الصحراء، والصحابة يصطفوا خلفه، يدعوا ويؤمن ويصلي ويصلون، وتنزل المطرة، وسابها لنا بعد ما مات، أعملوا كده بعد ما أموت، ما تجوش عند القبر، أنتم عرفتم صلاة الإستسقاء تتصرفوا إزاي؟ جه زمن عمر قال: "اللهم أنا كنا نتوسل إليك بنبيك، ونحن نتوسل إليك بأحب الخلق إلى نبيك بالعباس بن عبدالمطلب، قم يا عباس فإستسقي" ما قالش: يا رب العباس أهو راجل من ريحة النبي أهو، نزل لنا مطرة، ما حصلش كده، قَدَمَ العباس يؤم الناس وعمر وقف وراه يأمن رضي الله عنه وأرضاه، رغم إن في ميزان المؤمنين

عمر أفضل من العباس، لكن ده من باب بقى إيه؟ الأخذ بالأسباب، والتواضع منه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وإنزال آل بيت النبي ﷺ منزلتهم، عشان ما بيكرههمش ولا حاجة، تمام؟

يقول: نعم، فأمره إن يستسقي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، لأنه حي حاضر يدعو ربه، العباس حي ومش هيستسقي بالريموت كنترول، لأ ده حاضر موجود معنا، وهيدعو، لأنه حي حاضر، ودي شروط الإيه؟ طلب الدعاء من الغير، أن يكون حيًا حاضرًا قادرًا، قادرًا بيقدر يتكلم، بيقدر يستوعب، ما تروحش لواحد بس هو في الغيبوبة وتقول له: ما هو حي حاضر، بس زي عدمه، ده بيموت، تمام؟ أو واحد أطرش وأعمى وأنت تقول: ما هو حي حاضر، لا ما هو ما بيسمع ولا بيشوف، عياذاً بالله، ربنا يعافينا وأياكم في أسماعنا وأبصارنا.

قال: وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت، تمام؟ لإن المقصود الحي دعاؤه إذا كان حاضرًا، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعو ويتضرع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم، فمن تعدي المشروع إلى ما لا يشرع، فمن ذلك الموضع يعني من تعدي المشروع، تعدي التجاوز، من تعدي المشروع اللي ربنا جعله لنا دين، من تعدي المشروع إلى ما لم يُشرع، يعني من تجاوز السنة إلى البدعة ضَل من ضَل، أو ضل وأضل، هي ضَل من ضَل، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل، ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة أسبق إليه، وعليه إحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسك بكتاب الله نجا، من تركه وإعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق.

الباب اللي بعد كده برضو باب سريع نأخذه معنا.

باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك.

النبي لما ربنا أمره بتحذير الشرك وتحريمه على المسلمين إلى يوم القيامة برضو جعله عونًا لأمته، بإن هو قفل لهم كل الطرق التي تُفضي بهم إلى الشرك الأكبر عياذاً بالله.

عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: إنطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا للنبي بقى: أنت سيدنا، فقال النبي: (السيد الله تبارك وتعالى)، قلنا وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، قال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان)، رواه أبو داوود بسند جيد، تمام؟

بعد كده عن أنس رضي الله عنه قال: (أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عليها، أو أنزلني الله عز وجل) يعني، رواه النسائي بسند جيد.

قال الإمام: فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو في شخص النبي، وفي عامة أفعالهم وأقوالهم.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من يقول، من إذا قيل له: أنت سيدنا، يقول إيه؟ يقول يعني: لا مبالغة، لا داعِ للمبالغة، إتق الله سبحانه وتعالى، بلاش هذه الأشياء، خاصة لو وجد آثار المبالغة من القائل يعني، أو الجهل اللي ممكن يأول به إلى الغلو.

الثالثة: قوله: (لا يستجرينكم الشيطان) مع أنهم لم يقولوا إلا الحق، وفعلًا ما هو النبي سيد الأولين والأخرين، تمام؟ لكن الشيطان هيأخذها إيه؟ ذريعة إلى المغالاة في شخصه صلوات الله عليه، في هذا المشهد نهاهم رسول الله عنهم، لكن النبي في مواضع أخرى كما سيأتي، قال بنفسه: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)، (أنا سيد الناس يوم القيامة، أو تدرون مما ذاك؟) كما سيأتي.

الرابعة: قوله: ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي ﷺ أدبًا منه وتواضعاً لربه سبحانه وتعالى.

هنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن بيقول: قوله باب ما جاء في حماية النبي التوحيد أو حماية النبي حمى التوحيد، قال: حمايته حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال، التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، يضمحل وينقص متقاربان جداً يعني، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه صلوات الله عليه، كقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) وتقدم قوله ﷺ: (إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله عز وجل)، ونحو ذلك.

ونهى ﷺ عن التمادح، التمادح اللي هو أن يمدح الناس بعضهم بعضًا، سدًا لذريعة الإطراء في الخلق، وسداً لذريعة إركاب الإنسان بحر الغرور، ما هو إنسان هيمدح إنسان في وجهه كل شوية، أنت اللي هنا وأنت اللي هناك، النبي قال له: قطعت عنق صاحبك، تمام؟ يعني أنت لما تقابل إنسان وتنحني له كأنك بتركع، بس أصل أنا بحبه جداً، شيخنا مربينا، لا ده غلو، طب هو شيخكم ومربيكم؛ تجزيه شرًا؟ إن أنت توقع في قلبه الغرور، هو ليه عمل لك، ما عملكش كده؟ والله نسلم على بعض، ونتصافح ونتعانق كالقادمين من سفر، والمعاني الطيبة دي ماشي، إنما ليه الإنحناء؟ والأخ بيجي يسأل الشيخ يبقى هو في وضع الركوع، ليه الموضع العجيب ده؟ يا تقف وتسأل، يا تقعد في الأرض زي اللي قاعدين وترفع رأسك كده وتتكلم، بلاش الخنوع ده الموروث لإن ده كرهه رسول الله، والسلف الأول صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم.

هنا بقى بيقول بقى: يبقى النبي حَمَى حِمَى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال، التي يضمحل بها التوحيد، وهنا نهى التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنساناً: (ويلك؟ قطعت عنق صاحبك)، يعني أنت لما تقعد تنفخ في الإنسان كده كأنك قطمت رقبته قطم، إزاي؟ ده أنا بقول له: أنت اللي هنا واللي هناك، وأنا ما أقدرش أعيش من غيرك، ويقولوا لك: أنت اللي لينا بعد ربنا، والنفخ الكثير ده، ما هو كده هيغتر، ولما يغتر يتكبر، يبقى

النتيجة: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، أحسنت إليه ولا أسأت؟ أسأت إليه.

يقول: أخرجه أبو داوود، الحديث بقى (ويلك؟ قطعت عنق صاحبك) أخرجه أبو داوود عن صاحبك.

وعن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلاً أثنى على رجل عند النبي ﷺ فقال له: (قطعت عنق صاحبك)، مجرد ثناء فقط بالبق، ده فلان ده راجل محترم ومن أهل الدين والعلم، طب أنت رحت مختزل ده كله ورحت راكع، أدي مصيبة، مش لازم الإنحناءات دي، غلو شديد جداً جدًا.

يقول: وقال: (إذا لقيتم المداحين فأحثوا أو فإحثوا في وجوههم التراب)، تمام؟ أخرجه مسلم والترمذي، تمام؟ وهذا الحديث يعني بعض أهل العلم قال: هو على ظاهره، لما تجد من يمدح الإنسان يبقى عقوبته أنك تشيل تراب في الأرض تديهوله في وجهه على طول، بس طبعاً بعض أهل العلم قالوا: لا مش المقصود كده، المقصود إن أنت ما تديلوش اللي هو بيرسم عليه يعني، ما هو المداح ده المتملق عمال يتكلف في كلام عشان يوصل لحاجة، لا إنت إقطع طمعه، لا تعطه شيئا كأنه عاد بالتراب، يعني ما فيش حاجة، لن تحصل على على شيء كقول النبي: (فإظفر بذات الدين تربت يمينك)، يعني وإلا لم تحصل على شيء.

وفي هذا الحديث نهى عن أن يقول: أنت سيدنا، وقال: (السيد الله تبارك وتعالى)، ونهاهم أن يقولوا: أفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، وقال: (لا يستجرينكم الشيطان).

وكذلك قوله في حديث أنس أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، إلى آخره، كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح، يعني عايز تقول: سيدنا، قُل للصبح سيدنا، لكن مش في وجهه بقى، عايز تقول: شيخنا وأستاذنا، قل من ورائه ما تقولش في وجهه لإن أنت لا تضمن قلبه، هو قدامك راجل محترم ومن أهل العلم، بس أنت لا تضمن قلبه، تقول كلمتين تغير قلبه يبقى أنت عاقبته مش أثنيت عليه.

يقول: فنهى أو كره إن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو، وبه إلى الغرور، خذ بالك مش بالنبي، أنا أقصد بغيره ﷺ، وأخبر إن مواجهة المادح للممدوح بمدحه ولو بما هو فيه من عمل الشيطان، لما تُفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد، تمام؟ فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها، الذي لا تدور إلا عليه، اللي هو إيه؟ كمال الحب مع كمال الذل، طب أنت هتسيبه يصل لكمال الذل مع الله وأنت ليل ونهار بتنفخ فيه إزاي؟ متى يذل لله سبحانه وتعالى وأنت عمال كل كلمة تخليه يطلع فوق قمة أفرست؟ ظلمته، حُلت بينه وبين كمال التوحيد، تمام؟ يبقى حبوا مشايخكم بأدب راقي، بلاش غلو، بلاش تمسح، بلاش مجاذبة للأَكُف في التقبيل، بلاش الكلام ده، والله أنت بتسلم عليه ولقيت أيده ماشي، ما لا بأس تقبيل أهل الفضل على، إنما إنك تخطفها وتجمد عليه وتوطي تحت، ده كثير قوي كده، المحبة منعقدة في القلب بالأساس، كل اللي بينعمل ده ممكن يكون رياءً وسمعة، عافاكم الله من ذلك، وممكن يكون من وراء قلبك، وممكن يكون عادة سيئة، وممكن يكون عن حب غامر، طب ليه تخش في المختلطات؟ خليك في المحكمات بلاش متشابهات، خلي حبك مُحكم مش متشابه، بلاش الحاجات الإيه؟ اللي هي مش لطيفة دي، تمام؟

ولذلك كان شيخنا الشيخ محمد حفظه الله تعالى لما حد يقول: إحنا هنقلبها صوفية ودروشه بقى، كل شوية بوس في الأيادي، رغم إن هو ينباس رجليه مش أيده بس، لكن هو يحسم عن نفسه مادة الشر عن طلابه مادة الغلو.

يقول: وذلك لأن قطب رحى العبادة والتوحيد ما لا تقوم إلا بكمال أو غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والإستكانة لله، وألا يرى نفسه إلا في مقام الذم لا، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات.

ومحبة العبد أو محبة المدح من العبد لنفسه تُخالف ما يحبه الله منه، هو ربنا مش عايزك تحب نفسك، ربنا مش عايزك تمدح نفسك لا يريد منك ذلك سبحانه وبحمده، إنما يريد منك

أن تذري عليها بما لا يعود عليها بالسلب بل بالإيجاب، تذم نفسك لأنها موضع السوء في الأعم الأغلب، ماشي الكلام؟ مش تكره نفسك، وتموت نفسك، لا مش ده المقصود، إن أنت لا تأمنها لأنها أمارة بالسوء، وممكن تدي لك بعض الإرساليات كده وبعض للرسالات المغررة بحيث إن أنت تأمن لها حتى تنقض عليك فتقتلك.

طيب هنا بيقول: ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه، فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانةً لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل والمحبة له؟ خَلَصت أعماله وصحت، ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، مقام العبودية، بتحب شيخك بتحب أساتذتك، إحفظ أيمانهم، إحفظ توحيدهم، ما تفتحش عليهم باب الشر، ما تفتحش عليه باب الغرور، لا لا هو ده اللي هيغتر، دا ده اللي بيعلمنا الإخلاص، أيوا ما هو عبد، نفسه أمارة بالسوء زيه زي أي إنسان، له شيطان وله قرين يأمره بالكفر مش بالمعصية، زيه زي أي إنسان لا يسلم من شيطانه، ما هوش نبي معصوم يعني، فاتقوا الله عز وجل في بعضكم بعضًا.

قال: وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها؛ وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئا منهما عذبته)، وقلنا تعبير للحديث القدسي: بردائي وإزاري، دي من التعبيرات المجازية، مش إن صفات ربنا مجاز، لإن الرداء مش من صفات الله، ولا الإيه؟ الإزار من صفات الله، وإنما المعنى ضرب مثلًا، أو دا من الإستعراضات المكنية، يعني هنا بنقول: إن ده نوع من أنواع الإيه؟ الإشارة إلى شدة ملازمة صفة الكبرياء وصفة العظمة لذات الرب عز وجل، هي الكبرياء صفة حقيقية والعظمة صفة حقيقية، وملازمتها للذات الإلهية ملازمة حقيقية، لكن الصورة اللي محتاجين توصل لك معنى الملازمة، ما هو أنت ما شوفتش ربنا، هنضرب لك مثل بشيء محسوس، تمام؟ ولله المثل الأعلى، (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته).

وفي الحديث: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، وهذه الأفات قد تكون محبة المدح سببًا لها وسُلَّمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات، تخيل! عجب الإنسان بنفسه، فرحان بنفسه قوي، وعمال يصلي طول الليل ويقرأ طول النهار، ويعلم ويتعلم ويروح ويذكر ويأمر ويزجر وينهى ويجاهد ويموت، وفي الآخر يموت معجبًا في نفسه، تؤكل حسناته أكلًا.

قال: والعُجْبُ يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يُفضي به المدح إلى أن يُنزل الممدوح منزلة لا يستحقها، غلو، كما يوجد كثيرًا في إشعارهم من الغلو الذي نهى الله عنه أو الذي نهى عنه الرسول ﷺ، وحذر أمته منه اللي هو الغلو يعني، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية، والملك والتدبير ونحوها، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك، تمام؟

والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يُمدح، صلوات الله عليه، صيانة لهذا المقام، مقام العبودية اللي هو أعلى مقامات الإنسان، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله، (فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم)، ورأوا أن فعل ما نهاهم عنه ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات وحسنة من أعظم الحسنات وهذا يعني عين المحادة لرسول الله ﷺ.

وأما تسمية العبد بالسيد، السيد فلان، والسيدة فلانة مثلًا، وأما تسمية العبد بالسيد فإختلف العلماء فيه، مش تسمية إن أنا هسمي إبني سيد أو، لأ السيد فلان، وحتى لو سُمي فلان السيد أو سيد، بقول هذا مما إختلف العلماء فيه.

قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد: إختلف الناس في جواز أطلاق السيد على البشر، معرفة بالألف واللام يعني، فمنعه قوم ونقل عن مالك رحمه الله، طبعاً مذهب الإمام مالك في سد الذرائع من أشهر المذاهب وأقواها يعني، وإحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيدنا، قال: (السيد الله تبارك وتعالى) أو (السيد هو الله تبارك وتعالى)، وجوزه قوم، وإحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: (قوموا إلى سيدكم)، وهذا أصح من الأول، يعني القول

بالجواز أصح من القول بالإيه؟ بالمنع، قال: هؤلاء السيد أحد أو أحد ما يضاف إليه، أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا للملك سيد البشر، وإنما يقال للتميمي إيه؟ سيد بني تميم، وللكندي سيد كندة، وللملك سيد بني فلان، أو سيد دولة كذا، أو ملك دولة كذا.

قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يُطلق على الله هذا الاسم، اللي هو بالمضاف، السيد مضافًا ما ينفعش ينضاف إلى الله عز وجل إلا، ينقال إيه؟ الله هو السيد بس كده، مطلقة بلا إضافة، إنما سيد كذا أو سيد بني كذا أو سيد قوم كذا، يقول: وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أُطلق عليه تعالى، فهو في منزلة المالك، لفظ السيد إذا أُطلق على الله في منزلة لفظ المالك، والمولى والرب، لا معنى الذي يطلق على المخلوق، لو إحنا قلنا (رب العالمين) ما هي أضيفت أهي، (مالك الملك) ما أضيفت أهي، لو قلنا سيد الخلق أو سيد العالمين ماشي بس إنها موهمة، عشان كده بعضهم قال: لأ بلاش اللفظة دي.

قال: قلت الشيخ عبدالرحمن بن حسن، قلت: فقد صَحَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: (قل أغير الله أبغي ربًا): أي إلهًا وسيدًا، وقال في قوله تعالى: (الله الصمد) قال تفسيره: السيد الذي كَمُل في جميع أنواع السؤدد، السؤدد السيادة يعني، قال أبو وائل: وهو السيد الذي إنتهى سؤدده أي بلغ النهاية فلا فوقه، وأما إستدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: (قوموا إلى سيدكم) فالظاهر أن النبي لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله تعالى أعلى وأعلم،

كلام ابن القيم رحمه الله أدق من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ معقبًا، لكن هنا لما إنتهى كلام ابن القيم، الشيخ ياسر حفظه الله في الفضل وقال إيه؟ وبهذا يتم الجمع بين هذا الحديث وبين ما ورد في غير حديث من إطلاق السيد على أحد من الناس، كما في قول النبي: (قوموا إلى سيدكم) أنها مضافة سيدكم، سيد بني تميم، سيد بني كذا، إيه؟ السيد، السيد المحترم مدير المؤسسة، ما هو أنت كده كأنه سيد المؤسسة، يقول لك: ما أنا قلت ألف ولام أهي، أيوة ما هو أنت نسبته إلى مدير المؤسسة، فخلاص بقى السيد مديرًا على هذه المؤسسة، السيد ناظر المدرسة، السيد مدير المستشفى، السيد فلان الفلاني الوالد المحترم

إلى آخره لا بأس، تمام؟ سيدنا ومولانا ما هي دي مضافة، سيدنا، مولانا، أضفتها إلى ما المتكلم، أه كلمة السيد فقط ويسكت كده، معناه إن هو السيد عمومًا، وخذ بالك أصلا دي لها مردود عقدي عند الصوفية، كلمة السيد بمعنى المدبر يعني، تمام؟ إنما مش كل إنسان بيقولها هنقول له: لا أنت بتقصد معتقد الصوفية، هو يعرف الكلام ده منين؟

فعشان كده هنا الهامش البسيط ده اللي هي أسطر معدودة نختم بها الفصل في قول فضيلة الشيخ صاحب الفضل فضيلة الشيخ ياسر بيقول: وبهذا يتم الجمع بين الحديث اللي هو إيه؟ (إن الله هو السيد) وبين ما ورد في على سبيل الجواز مضافاً إلى طائفة اللي هو (قوموا إلى سيدكم)، وكما في قوله للحسن: (إن ابني هذا سيد)، من حديث أبي بكرة ورواه البخاري، وكما في قوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة) صلوات الله عليه.

بهذا يعني نصل إلى نهاية الحلقة الثانية من لقاء اليوم.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً